أوصـــاف يـــثرب أى أوصـاف
قلعة المدينة المنورة

كانت يثرب مدينة صغيرة فى بداية عهدها ، وبعد أن هاجر إليها الرسول الكريم من مكة ، ، عُمرّت عمرانـًا عظيمًا . ومن أهم ما يسجله تاريخها ، أنه عندما حاول الكفار الإستيلاء على قبر الرسول لهدمه ، هب نور الدين شهيد من الشام ، ووصلها فى تسعة أيام ، وخلص المدينة من أيدى الأعداء ، وبنى حولها قلعة . ولكنها خَربت خلال تعاقب الأزمان ، حتى رأى السلطان سليمان [1] الرسول الكريم فى منامه ، فخاطبه النبى ﷺ قائلاً : « . . يا سليمان إفتح بلجراد وبودين ورودس وشيد قلعة حول القدس الشريف التى بها مقام الإمام الأعظم ، وأخرى حول مدينتى يثرب » . فقام السلطان سليمان القانونى بفتح هذه المدن ، وشيد القلاع .

---

(١) السلطان سليمان القانونى : ١٤٩٥ – ١٥٦٦م = ٩٠٠ – ٩٧٤هـ . عند وفاة والده السلطان سليم الأول ، كان الأمير سليمان واليا على مغنيسيا = ما ينصه . تولى السلطنة ولم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بَعد . وكان عليه أن يتابع انتصارات والده ، ففتح بلجراد ، ورودس والمجر ، وحاصر فينا ، ولولا خيانة زوجته اليهودية روكسلانه = خُرم سلطان ، وصدره الاعظم إبراهيم باشا لتحولت النمسا إلى ولاية عثمانية . لُقب بالقانونى لكثرة القوانين التى أصدرها لتنظيم حياة الإمبراطورية العثمانية .

حوّل البحر الابيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، والبحر الأسود وبحر مرمرة إلى بحيرات إسلامية لم تكن الاساطيل الاجنبية تستطيع دخولها بدون اذن سابق ، وقد اعتمد فى ذلك على الأمير الجزائرى خير الدين بارباروس الذى عينه قائداً للاسطول العثمانى .

لم يغفل السلطان سليمان القانونى عن إنشاء الصروح المعمارية ؛ من جوامع ، وكليات الصحن ثمان ، ودور الحديث ، والخور ، والخانات ، والحمامات ، والاستراحات فى شتى ربوع الإمبراطورية .

كان للمدن الإسلامية المقدسة الثلاث ؛ مكة ، والمدينة والقدس مكانة خاصة فى نفس القانونى ، فاوقف عليها الكثير من الأوقاف الخيرية ، وولى عليها خيرة فواده ، ما كفَل لها تطوراً معماريًا وحضاريًا ، ما زالت ماثلة للعيان حتى اليوم ؛ فجدد الحرمين الشريفين ، والمسجد الأقصى ، وأمن قوافل الحج المؤدية إليها ، وأقام المخافر والحصون والقلاع ، والأبار ، والمطاعم على طرق القوافل لخدمة الحجيج . سليمان القانونى [٩٠٠ – – ٩٧٤ هـ = ١٤٩٥ – ١٥٦٦ م] أعظم سلاطين بنى عثمان . ابن سليم الأول . اعتلى العرش سنة ٩٢٦ هـ لُقب بالقانونى لعدله وكثرة القوانين التى سنها، وصلت الدولة العثمانية فى عهده اقصى اتساعها . لقبه الاوروبيون بالعظيم "MagniFique" وصلت فتوحاته إلى المجر، سنة ٩٣٦ هـ ، وحاصر فينا غربًا . وسَّع فتوحاته فى آسيا فضم إيران وبغداد وآذربيجان ووصل البصرة سنة ٩٤١هـ = ١٥٣٤ م . حول البحر الأبيض والاحمر إلي بحيرات عثمانية تحت قيادة خير الدين بارباروس . له عمارات فى كل العالم الإسلامى . مدة سلطنة ٤٨ سنة . «المترجم»

أشـــكال قلعـــة المديـــنة:

كـانت مـولوية [1] المدينة حسب القانون القديم مولوية «قضاء» مخصصاتها خـمـسـمائة آقچه ، ولكن لبُعدها ، وعدم خصوبة أرضها ، فقد أصابها الإهمال ، حتى كان عهد السلطان محمد الرابع ، فأصدر قانونًا نص فيه على ما يلى :

«إنه بدون قضاء مكة والمدينة فلن يكون هناك قاض لإستانبول» وبذلك إرتبطت مكة والمدينة فى بادئ الأمر بقاضى ، أو ، مولوية إستانبول :

آهالى المدينة يتصفون بالحلم ، ولين الجانب ، والمسالمة . ولقد تم تخصيص ألف قطعة ذهبية لكلٍ من ، شيخ الإسلام ، ومشايخ الحرم ، والمعلمين ، من الصرة .كما خُصَص لكل طائفة ، مائتين أروب قمح ، من الظهيرة ، التى كانت تأتى من مصر .

يُسيطر شيخ الحرم على الأمن فى المنطقة بالجند الذين تحت إمرته ، والذين يبلغ

---

(١) **مولوية المدينة** : قضاء المدينة = «مولويت» مصطلح علمى يُطلق على الطرق العلمية المتعلقة بالقضاء . وكانت المولوية هى طريق كبار المدرسين .. وتم الأخذ بهذا النظام بعد عهد السلطان سليمان القانونى ، فقد كانت المراتب ، والدرجات العلمية مختلفة قبل عهده .. وقد وجد أنه من الضرورى إحداث تغييرات فى الدرجات العلمية وخاصة لسد احتياجات الكليات التى أنشاها . وإن كانت الأوقاف ، «وقانون نامه» ، السلطان محمد الفاتح تُبين أن المولوية كانت موجودة كدرجة علمية ، يرقى صاحبها لشغل القضاء .

كانت رتبة أو درجة المولوية تُمنح لكبار المدرسين وظل هذا الأمر معمول به بعد عهد سليمان القانونى ، وكان من ينال هذه الدرجة العلمية يتوجه إلي حيث المكان المحدد له ، ويتولى القضاء فيه .

ولكن هذه الرتبة العلمية أصابها الفساد بسبب النظام الذى وضعه شيخ الإسلام [فيض الله أفندى] فى عهد السلطان مصطفى الثانى ، والذى كان يجيز توجيه هذه الدرجة العلمية إلى الأصلاء = «زاده .كانه» .

كانت المولوية فى حينها خدمة تنفيذية ، بمعنى على مَنْ يتولدها التوجه إلي حيث مكانها ، ويبدأ فى ممارسة مهامها على الفور ، ورويداً .. رويداً بُدأ فى الاستغناء عن هذا النظام ، وأن يتولى النواب القيام بهذه المهام .

كانت المولوية ثلاث درجات ؛ أ- مولويات المخرج . ب- مولويات البلاد الخمس . جـ- مولوية الحرمين الشريفين؛ وكان يُطلق على مولوية المخرج ، مولوية البلاد العشرة أيضًا ؛ وكانت هذه البلاد هى ؛ ازمير ، سلانيك بنى شهير ، فنر، خانيا ، القدس الشريف ، حلب ، طرابزون ، صوفيا ، غلطه ، أبوب وملحقاتها .

أما مولوية البلاد الخمسة ؛ مصر ، الشام ، بورصة أدرنه ، فليبه ، أما مولوية الحرمين ، فكانت عبارة عن قضاء مكة والمدينة .

وكانت مولويات المخرج يُعين فيها كبار المدرسين ، وهناك صلاحية ترقية عشرة أفراد سنويًا لهذه الدرجة .. وبعد أن ينال مرتباتها ومخصصاتها ، ويظل بها المدة المعتادة . يبدأ فى ممارسة مهام مولوية البلاد الخمس لمدة بدون مقابل ، ويكون ملازمًا للقاضى بها قاضيا وبعد اتمام المدة المقررة يُصبح مولويًا فى إحدى المولويات الخمس . وبعد قضاء مدته بها ، يعمل ملازمًا بدون مقابل لفترة ما لقاضى مولوية الحرمين ، وبعدها يُصبح قاضيًا فى مولوية الحرمين ، وأحيانًا ؛ كان يتم الفصل بين مولوية المدينة ، ومولوية مكة .

كانت المدة المعتادة فى كل مولوية هى مدة سنة واحدة . «المترجم»

عددهم خمسمائة جندى ، والأقضية التابعة للمدينة ومرتبطة بها إداريًا هى :

ينبع البحر ، ينبع البر ، الحديدة ، وصفرا ، ودار القرا ، وفِدك ، وديار خيبر .

يقدمون للقضاة فى هذه الأقضية فاتحة وثلاثة مكاييل من التمر ، بدلاً من البدل النقدى للحجة .

وبالقلعة ثمانين مدفعًا ، وسجنًا ، ومهترًا [1] ، وجنود محاصرة ، ومحافظًا . وأبعاد القلعة كالتالى :

الجنوب به باب مصر ، وعلى جانبيه برجين عظيمين ؛ وفوق العتبة العليا للباب كتبت العبارة التالية : « إنه من سليمان وأنه بإسم الله الرحمن الرحيم » . وعلى بعد ثلاثمائة خطوة ناحية الشمال ، يوجد باب الحاج ، أى باب القبلة . وعلى مسافة مائتين خطوة من هذا الموقع ، ونحو الشمال يتجه « المَطْلَع » ، المرتفع ، إلى أعلا نحوالشمال . والمسافة من هذا الموقع ، حتى البرج الداخلى ، للقلعة ، مسافة أربعمائة خطوة . وجدار القلعة فى هذا الموقع عريض ، وقوى جدًا وناحية الشرق من هذا الموضع ، وعلى بُعد مائتين خطوة ، من هذا المرتفع ، يقع « باب الشام » . ومنه ، وحتى برج الشريف ، ألف خطوة ، ومنه حتى « باب البقيع » ثلاثمائة خطوة . وبعد مائة خطوة من باب البقيع ينتهى الجانب الجنوبى للقلعة .

والإتجاه الغربى يبلغ ألف ومائتين خطوه ، من الموضع السابق ، وحتى « باب مصر » ، وعلى هذا الأساس ؛ فإن محيط القلعة ؛ ٣٣٥٠ خطوة وسمك الجدران ستة أذرع ، وإرتفاعها عشرون ذراعًا ، وداخل القلعة ألفين منزلاً عامرًا . أما المبانى

---

(١) مِهْتَرْ : إصطلاح موسيقى يعنى الموسيقار الذى يقوم بعزف النوبة أمام باب أحد رجالات الدولة العظام أو القواد الكبار . وتُجمع على مِهتران أى مجموعة الموسيقيين الذين يعزفون السلام الوطنى أو السلطانى أو النوبات المختلفة فى الجيش . وكانوا يقومون بالعزف على الطبل ، والزمر ، ويطوفون الأحياء تبشيرًا بسير المحمل إلى الحجاز . ويجمعون الهبات والتبرعات لهذا الغرض .

ومنهم « مهتران علم » أى الفرقة الموسيقية المنوط بها عزف سلام العلم ، أو السلام الوطنى فى وقت الحرب . و« مهتران طبل وعلم » وهى الفرقة الموسيقية المكلفة بعزف الموسيقى فى القصر السلطانى ، وفى حضرة السلطان وقائدها يسمى « مهترباشى » . أما الفرقة الخاصة بالسلطان فكانت تسمى « مهترخانة خاقانى » أو « مهترخانة همايون » ويقول هامر جـ١ ص ٣١٣ إنها فرقة الشرف التى تعزف أمام الوزراء ، والقواد وقت الحرب ، وتُذكرهم بطبولها بأوقات الصلاة أيضًا عند الجهاد . ويبين أدوات المهترخانة كالتالى : ١٦ زورنا ، ١٦ طبل ، ١١ مزمار ، ٨ نقارة ٧ أجراس = « صاجات » و ٤ أوستان . وكان عددهم ٧٢ فردًا أما إذا إشترك السلطان بنفسه فى الحرب فيتضاعف هذا العدد . وقد ألغى نظام المهترخانه مع الغاء معسكرات الإنكشارية سنة ١٨٢٦ م = ١٢٤١ هـ واستبدل به نظام موسيقات الباندو . « المترجم »

الأخرى ، فأكثرها خانات ، ومدارس . وجوامع ، وأسبلة ، وتكايا ، وكتاتيب ، وداراً للحديث ، وداراً للقراء . ولا يوجد داخل القلعة مساجد ، أوجوامع ، ولكن بالقرب منها . وهناك خارج الأسوار ؛ توجد هذه المنشآت الدينية السالفة الذكر . وتوجد حدائق فى سبعة منازل فقط . والمدينة المنورة عبارة عن خمسة أحياء فقط .

ويوجد بالقلعة الداخلية محراب واحد ، وعدة عنابر « مخازن » وبها مخزن للذخيرة « جنجانه » ، وما بين سبعين ، أو ثمانين منزلاً صغيراً ، ومسجدها بديع الصنع ، وهو من مآثر السلطان سليمان ، وتشييده . وتقام الجماعة وتقرأ الخطبة ، فى الجامع الكبير فقط .

جامع الروضة المطهرة:

إن القبر الشريف ، للرسول الكريم ﷺ ، يقع فى داخل هذا الجامع ، ولما كانت صلاة الجمعة ، لا تُقام فى أى مسجد آخر بالمدينة ؛ فلذلك يحضر الصلاة فى هذا الجامع حشد كبير من المصليين . ولقد إهتم الحكام على مدى التاريخ بهذا الجامع ، اهتماماً بالغًا ، من الناحية المعمارية ، والفنية ، وزينوه بالنقوش ، والفنون ، والمجوهرات حتى غدى كالجنة .

ولما هاجر النبى الأبى من مكة إلى المدينة ، وعندما تساءل فيما بينه وبين نفسه الأبية « ياترى أين سنضاف ؟ » .فأمسك جبريل الأمين بوهاق ناقته (ﷺ) ، وبينما كانت وجهتهما نحو بيت أبى أيوب الأنصارى ألهم الله سبحانه وتعالى أبا أيوب ، فخرج من المدينة لإستقبال النبى المصطفى والترحيب بمقدمه السعيد ، وكان ذلك عند جامع قباء ، فأمسك بوهاق الناقة وتوجه بها نحو بيته . وكان النبى ﷺ ، قد هاجر وفى صحبته عدد كبير من الصحابة المهاجرين الذين لم تحضر معهم زوجاتهم ، بل طلقوا معظمهن . وكان الأنصار الذين يقطنون المدينة قد قاموا هم أيضاً بتطليق زوجاتهم اللائى يزدن عن واحدة ليزوجوهن للمهاجرين .

هكذا حوَّل أبو أيوب الأنصارى المهاجرين ، إلى أصحاب منازل ، وعقار ، وعيال ، ثم تنازل أبو أيوب نفسه عن منزله للرسول عليه الصلاة والسلام . ثم أمر المصطفى ببناء مسجد لطيف ، بجوار هذا البيت المُشَرّف . وهذا المسجد ما هو

إلا جامع الروضة المطهرة الحالى . وعندما صعدت روحه (ﷺ) الطاهرة ، إلى الرفيق الأعلى ، دُفِن جسده الطاهر فى هذا البيت الشريف .

وفى تلك الليلة المشهورة رأى الصحابة الميامين جميعًا الرسول الأكرم فى منامهم ، وقد خاطبهم جميعًا متفضلاً :

[يا أمتى ... إن كنتم تُريدون شفاعتى .. فإنى لست فى حاجة إلى الذهب ، والفضة ، أو القِباب المجوهرة .. وإن كنتم تريدون رضائى فوسِّعوا ، وسوِّروا - (أقيموا الأسوار) حولى لتحافظوا علىَّ ، من المشركين والمنكرين] ولذلك ، فقد صرف الصحابة الميامين النظر عن تزيين مقام الرسول بالذهب واللؤلؤ ، والجواهر ، وصرفوا هِمَمهم فى توسيع المقام الطاهر ؛ حيث حوَّل سيدنا عثمان رضي الله عنه هذا المسجد الشريف إلى جامع فسيح ، وأقام جدارًا للقبلة ، ثم أعقبه سيدنا على كرم الله وجهه فزاد فى اتساعه [1] ثم الوليد الأموى [2] ؛ ومن سلاطين مصر : قايتباى [3] والغورى [4] ، ومن آل عثمان : سليمان القانونى ، ومراد

---

(١) توسيعات الحرم النبوى : سوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب حرآة المدينة المنورة .

(٢) الوليد الأموى :هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وهو سادس الخلفاء الامويين ، وثالث آل مروان ، ولد سنة ٤٨ هـ = ٦٦٨م ، وخلف والده فى الحكم سنة ٨٦هـ = ٧٠٥م ، واتخذ من الشام مركزًا للخلافة ، فُتحت فى عهده الكثير من البلدان من الاندلس والبرتغال حتى التركستان . جدد المسجد النبوى ، والمسجد الاقصى وقام بتوسيعهما ، ثم أقام المسجد الاموي فى دمشق . استمر فى الحكم ٩ سنوات وثمانية أشهر . ثم توفى سنة ٩٦ هـ = ٧١٤م وخلفه اخوه سليمان . (المترجم)

(٣) قايتباى : Kayit Bay الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين المحمودى الظاهرى سلطان مصر وسوريا (٨٧٣ - ٩٠٢هـ = ١٤٦٨ - ١٤٩٥م) اشترى كمملوك من قبل بارسباى ، وأطلق سراحه من طرف السلطان جقمق ، ثم أصبح « دوادار » ثم فى سنة ١٤٦٨ عرض عليه العرش فى مصر ، قبله بعد تردد . بعد أن استقر به الحال فى الحكم ، اشتدت المنافسه بينه وبين العثمانين من جهة أو بين آلاق قيونليلر - الشاه البيضاء ، من جهة اخرى استقبل فى القاهرة الامير جم منافس السلطان بايزيد على العرش وساعده على ذلك عقد مع العثمانين صلحًا سنة ٨٩٦ هـ = ١٤٩١ م . عاش بقية حياته فى السلطة فى سلام مع جيرانه ، ويعتبر من أهم سلاطين المماليك البورجيه . وإن لم ينجح فى اقرار نظام ضريبى مستقر فى البلاد . وهذا مما جر الإمبراطوريه المصريه المملوكيه إلى الدمار والخراب . أعاد اعمار الكثير من المنشآت ، وإنشا الجديد منها فى شتى بقاع البلاد . اقام القلاع والحصون ، وجدد المسجد النبوى فى المدينة المنورة ، بالرغم من تولية السلطان وعمره يناهز الستين ، إلا انه قضى السنوات الأولى من السلطنه فى نشاط ودأب مستمر ، حج البيت الحرام ، وكان يقوم بالتفتيش بنفسه على مناطق دجله والفرات ، ونجح فى اخضاع القبائل العربيه فى الدلتا ، وحماه وحمص . كان حاكما مثاليًا بالنسبة لكتاب الوقائع ، وإن كان يتسم بالشده والغلظة . « المترجم »

(٤) الغورى : Konsu, Kansuk Al-Gauri هو الملك الاشرف سيف الدين بن بابارى الغورى (١٤٤٠ - ١٥١٦م) جاء الى مصر ضمن المماليك الذين جاءوا من منطقة غور فى افغانستان . ظل الى سن الاربعين واليًا على ولاية =

الثالث [1] وأحمد الثالث [2] حيث قام كل منهم بتشييد أثرًا جديدًا ، أو إضافة فريدة حتى تحول الحرم الشريف إلى روضة من رياض الجنة .

وأطراف الجامع النبوى الشريف ألف خطوة . وداخل الحرم ، ومن عند قدمى الرسول المباركتين ، ومن باب جبريل الأمين ، وصُفَّة شيخ الحرم ، حتى تعبر باب الشفاء ، من الناحية الداخلية للحرم مخازن الزيت ، تبلغ المسافة سبعون خطوة . ومن هذا الموقع ، حتى أزيار المياه ؛ مائة وخمسون خطوة . ومن نفس الموقع ، وحتى باب الرحمة ، وباب السلام ؛ مائة وسبعون خطوة . وهكذا فإن المسطح الداخلى للجامع ستمائة وتسعون خطوة . وقد فرشت أرضيه الحرم الشريف كلها بالأحجار الكريمة الصغيرة . ومحيط الحرم ستمائة خطوة . وفى وسط الحرم تمامًا ؛ توجد قبة ،

= البحيره . وتولى منصب حاجب الحجاب فى حلب سنة ٨٩٣ هـ = ١٤٨٨ م وفى عصر السلطان جانبولاط تولى نيابة النواب سنة ٩٠٣ هـ = ١٤٩٧ م عينه طومانباى الأول سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠ م دواداراً كبيراً . اختاره المماليك سلطانًا، وقد تجاوز الستين من عمره . لم تكن الأوضاع الاقتصادية فى بدايه حكمه مستقره ، اشتط فى جمع الضرائب للصرف منها على القلاع التى انشاها فى حلب والحجاز ، وشق القنوات ، وحفر الآبار . (المترجم)

(٢) مراد الثالث : [٩٥٣هـ - ١٠٠٣م = ١٥٤٦ - ١٥٩٤م]

السلطان مراد الثالث هو من السلاطين العثمانيين العظام ، هو ابن سليم الثانى ، جده سليمان بن سليم الأول . ولد سنة ٩٥٣هـ . عند وفاة والده ٩٨٢هـ = ١٥٧٤م وصل إلى العاصمة ، وجلس على عرش السلطنة وهو فى التاسعة والعشرين من عمره ، أبقى على صقوللى محمد باشا فى منصب الصدارة ، فتح فى عصره العديد من المدن فى البلقان، كما ضم العديد من المدن فى آسيا إلى حوزة الدولة العثمانية - استمر فى الحكم ٢١ سنة ، وتوفى وهو فى الخمسين من عمره .

كان محبًا للعلماء ، والشعراء ، كما كان يقرض الشعر ، وتخلص فى اشعاره د «مرادي» ، تعهد العديد من الشعراء ، وكان حليما ، مسالمًا ، محبًا للذوق وصفاء الحياة . خيراته ؛ وعطاياه كانت كثيره . خصص الكثير من الأموال لتوسعة ، وترميم ، وتجديد الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة ، كما أجرى إليهما المياه الوفيرة . . انظر : قاموس الاعلام جـ ٦ . «المترجم»

(٣) أحمد الثالث : [١٠٨٣ - ١١٤٩هـ = ١٦٧٢ - ١٧٢٦م]

إبن السلطان محمد الرابع العثمانى ، هو السلطان الثالث والعشرين بين السلاطين العثمانيين . ولد سنة ١٠٨٣هـ جلس على العرش بعد أخيه مصطفى الثانى ، وظل فى الحكم ٢٨ سنة ، ثم تركه سنة ١١٤٣هـ وتوفى سنة ١١٤٩هـ ، وتوفى عن ست وستين سنة . قضى على حركات العصيان التى تفشت فى البلاد قبيل توليه السلطة . وقد نفى ، وقتل الوزراء ، والصدور العظام الذين كانوا يساندون العصيان . فى عهده لجاشارل الثانى عشر ملك السويد إلى بلاده بسبب الحروب مع الروس مما أدى إلى دخول الحرب ضد الروس ، وقد وقع بطرس الأكبر فى الأسر ، ولم تنقذه زوجته كاترينا إلا ببعض التنازلات ، والدسائس مع القائد بلطجى محمد باشا . استردت فى عهده العديد من المدن التى سبق وان فقدتها الدولة العثمانية . تنازل عن العرش بضغط من الإنكشارية لإبن عمه محمود سنة ١١٤٣هـ = ١٧٢٠م . جامعة فى إستانبول من المعالم المهمة . [المترجم]

وتُحفظ فيها زيوت المصابيح . وأمام قبة الزيت هذه توجد نخلة محاط حولها بسور من القضبان ، وقد قام النبى الأمين ، بغرس هذه النخلة خصيصًا ، بيديه الكريمتين . وتصطف الإيوانات على جوانب الحرم ، ويزدان بثلاث مآذن ، وداخل الحرم والجامع عامة ثلاثمائة عمود من الأعمدة المختلفة الأحجام ، والأشكال ، وفوقها ثلاثمائة كمر ، وقد زينت هذه الكمرات « الأحزمة » . بالنقوش ، والزخارف المختلفة الألوان ، والتذهيبات ، وغطت القباب من نواحيها الأربع بالزجاج الملون ، الذى يملئ المكان ضياءاً ، وبهاءاً عندما تُشرق الشمس ، وتسطع أشعتها . وقد فُرِش الحرم بالأحجار الكريمة القيمّة والتى يصعب على أي أنسان تحديد قيمتها ، أو نوعها ؛ فبعضها عقيق أخضر ، أرجوانى ، وبعضها أصفر يَرَقانى ، = « فى لون اليرقات » والبعض أصفر ، « بالجامى » = عسلى أو صوماكى = فى لون السمسم . وغُطت هذه الأرضيات المزدانة ، بأفخر أنواع السجاد الذى قدمه الملوك ، والسلاطين ، والوزراء ، والأغنياء إلى الحرم النبوى الشريف مما أضفى عليه نوعًا من الروحانية العلوية ، التى تشد المرء إلى طول الإقامة به ، والتشرف بالمثول فى حضرة ساكنيه فى كل وقت وحين . ولولا أننى مولع بالسفر والطواف بالعالم لما برحت هذا الجامع النبوى الشريف طوال حياتى .

محفل المؤذن مقام على ثمان أعمدة ، صغيرة ، بالقرب من الروضة المطهرة ، ومحراب الإمام الأعظم ؛ صغير ، ولكنه بديع الصنع ، وعلى جانبيه شمعدانات ذهبية ، بقدر طول الرجل ، وبداخل كل منها شمعات ، طول كل منها ثمانية أشبار . وعلى الجانب الأيمن للمحراب ؛ يوجد المنبر الذى أمر السلطان مراد الثالث بصنعه ، من الفضة الخالصة ، والذى لم أر مثله فى العالم الإسلامي أجمع . وعلى الجانب الأيمن من المحراب ، أيضًا ، يوجد محراب لكل من الإمام الشافعي ، والإمام المالكي ، والإمام الحنبلي، وفى الناحية الداخلية لباب السلام ، وتحت الكمر ، توجد هذه الكتابة [هذا البناء المبارك لمولانا السلطان قايتباى عز نصره فى سنه ؟] وهو باب روعة فى الفن ، صنع من النحاس الأصفر المصقول . وما أن يلج الزائر من باب السلام، إلى الداخل حتى يرى هذه الأشطر التالية ؛ والتى كُتِبت بخط التعليق الجلي على لوحة من الورق الأزرق فى قامة الرجل ، وقد عُلّقت علي زاوية الجانب الأيسر :

«إذا كان لقوم العرب آيين ؛ هو هذا ياسيدى وقلة هم الذين يتحررون من الإرتباط بضره ، فأنت فخر المؤمنين ، وسيد الكونين أنت فليحشرنى الله .. لأمسح الجبين بقبرك .. وألا أبرحه..» [1].

وعلى الزاوية اليمنى من نفس الباب نُقشت الآية الكريمة : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) ﴾ [2] وقد كُتبت الآية بالخط الجلى ، وامتدت حتى محراب سيدنا عثمان رضي الله عنه . ومن باب السلام حتى باب جبريل سُطرت سورة الفتح الشريف وعلى زاوية الشافعية من ناحية جدار سيدنا عثمان يوجد هذا التاريخ :

«فيض حقدن دوشدى تاريخ دعاء خير ايله دين ودعاسن معمى ايده رب العالمين [١٠٣٢]» [3]

ولا توجد أى نوافذ فى الجدار الذى أمر ببناءه سيدنا عثمان ، ولكن هناك نافذة ، ذات إطار نحاسى ، تجاه المرقد النبوى الشريف . كما أن هناك نافذة ، أخرى ، أمام المقصورة ، المقامة عند قدمى النبى المباركتين (ﷺ) .

وتقام بهذا الجامع النبوى الشريف حلقات لأرباب العلم والعرفان ، ولقد كتبت أنا العبد الحقير على لوحة بالخط الجلى :

«سيَّاح عالم آوليا روحيچون فاتحه» [4] وكتبت كذلك بالخط الجلي أمام المقصورة :

«شفاعت يارسول الله آوليايه ١٠٨٢» [5] . وبالجامع النبوى الشريف سبعة آلاف قنديل بالكمال والتمام .

* * *

---

(١) بودر آبين عرب برقومك اوله سيدى آز اولور كيم قبرى اوزره نبده آزار او لمايه سن كه فخر المؤمنينك سيد الكونينك حشر الله قبرينه يوزسوره م آزاد اولمايه .

(٢) سورة التوبة آية ٢١ .

(٣) تاريخ الدعاء بالخير مَنْزل من فيض الحق فليجعله رب العالمين معموراً بالدين ودعائك « ١٠٣٢ » .

(٤) الفاتحة على روح آوليا ، رحَالة العالم .

(٥) الشفاعة لآوليا يارسول الله ١٠٨٢ .